

الطبري النحوي الكوفي منه هذا تفسيره

الدكتور احمد خطاب العمر
قسم اللغة العربية

تمهيد :

لم يذكر مؤرخو النحو كتب التفسير من مصادره ، مع ان بعضها يحتوي على كثير من الاحكام النحوية ، والمصطلحات والخلافات وخاصة الكتب القديمة منها ، كتفسير الطبري* (جامع البيان في تأويل آي القرآن) الذي اختاراه مادة للدراسة هذه ، وقد تنبّهت الى ذلك حينما كنت اعمل في تحقيق كتاب (القطع والائتناف لابي جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ) إذ كان ينقل عنه في مواضع عديدة احكاماً كثيرة في النحو ، واستشهد بكثير من شواهد الشعر منه ، ولما عدت استقري تلك المواضع ، ظهر لي ان الكتاب غني بهذا ، وأنه ينبغي الا يهمله دارسو النحو ، وخاصة المذهب الكوفي ، لاني بعد دراسته حكمت بأنه قد يكون مصدراً مهماً من مصادرهم على قلتها ، لانه يحتوي على كثير من آرائهم ومصطلحاتهم ، واورد كثيراً من طرق مناقشتهم وحججهم اضافة الى ان فيه ما يقرب من سبعين مسألة خلافية ، يذكر فيها حجج علماء المذهبين ، وان الكتاب اشتهر وعرفه الناس ، وفضلوه على كثير من الكتب ، في زمن ثعلب والمبرد ، جاء في رواية لياقوت عن ابي بكر بن كامل قال : «أملى علينا كتاب التفسير مائة وخمسين آية ، ثم خرج ذلك الى آخر القرآن ، فقرأه علينا وذلك سنة (٢٧٠هـ) واشتهر الكتاب وارتفع ذكره ،

* هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري ولد آخر سنة اربع وعشرين ومائتين ، وقيل اول سنة خمس وعشرين بآمل بطبرستان ورحل لطلب العلم وهو ابن اثني عشرة سنة ، أي سنة ست وثلاثين ومائتين ، وقيل بل هو ابن عشرين سنة ، أخذ مختلف العلوم في كثير من مدن العراق وفي بيروت وسمر والشام والحجاز ، ورجع إلى بغداد ، فاستوطن فيها إلى ان مات سنة عشر وثلاثمائة .

ترجمته في كثير من كتب التراجم ، ولكن ينظر انباء الرواة ٣ / ٨٩ وخامسة وهو غير أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري . ينظر ميزان الاعتدال ٣ / ٩٩ .

وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد يحييان ، ولاهل الاعراب والمعاني معقلان ، وكان أيضاً في الوقت غيرهما ، مثل أبي جعفر الرستمي ، وأبي الحسن بن كيسان ، والمفضل بن سلمة ، والجدد أبي اسحاق الزجاج ، وغيرهم من النحويين من فرسان هذا اللسان ، وحمل هذا الكتاب مشرقاً ومغرباً ، وقرأه كل من كان في وقته من العلماء ، وكل فضله وقدمه « (١) .

والكتاب وإن كان خاصاً بتفسير القرآن — كما قلنا — فهو يشتمل على كثير من العلوم ، ومنها علوم العربية من لغة وصرف ونحو ، وأنه تفرد عن غيره من كتب التفسير في أنه كان يورد الآية فيذكر ما فيها من تفسير ، فإذا اقتضى أن ينبه على ما فيها من اعراب واختلاف استقرى آراء النحويين : بصريين وكوفيين ، وعلل لكل منها ثم صوب ورجح ، وكان في تعليقاته يميل الى الكوفيين فهو سجل مهم لآرائهم ، وسجل أيضاً لكثير من المسائل الخلافية ، لانه تقدم زمناً على غيره في ذكره هذا العدد منها ، وإن كتب الخلاف التي ألفها العلماء في زمانه ، لم يصل إلينا منها شيء ، مما يجعل لهذا الكتاب قيمة كبيرة في دراسة تاريخ تلك الخلافات ، وأنه يكشف عن كثير من الاسس التي بني المذهب الكوفي عليها .

مذهب النحوي :

لايستطيع المتبع لآراء الطبري النحوية أن يجد تبايناً كبيراً بينها وبين ما يراه الكوفيون في المسألة الواحدة ، ولم يخرج عن الخطوط العامة لمذهبهم الذي نلخصه بما يأتي (٢) :

١- كانوا يعتقدون بالمثال الواحد . أو يعممون الظاهرة الفردية ، فهم قد توسعوا في القياس .

(١) معجم الادباء ٣٩/٦ ؛

(٢) ينظر مدرسة الكوفة النحوية ص ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٧٦ - ٣٧٩ ، والمدارس النحوية ص ١٥٨ - ١٦٠ .

- ٢ - كانوا يغيرون الاصول لتكون وفق الامثلة المستعملة المسموعة .
- ٣ - جعلوا النقل والرواية مصدر القواعد الاول .
- ٤ - مضوا يتوسعون في الاحتجاج بالقراءات .
- وأول ما يعيننا على تأكيد هذا الميل . أنه تتلمذ على ثعلب . فقد ذكر عنه انه قال : « قرأ علي أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة » (١) وهو الذي نعت به بأنه من حذاق الكوفيين . نقل ياقوت ذلك فقال « قال أبو بكر بن المجاهد (ت ٣٢٤هـ) قال لي أبو العباس يوماً : من بقي عندكم في الجانب الشرقي ببغداد من النحويين ؟ فقلت : مابقي أحد مات الشيوخ فقال : حتى خلا جانبكم ؟ قلت : نعم الا أن يكون الطبري الفقيه ، فقال لي ابن جرير ؟ قلت : نعم ، قال : ذاك من حذاق الكوفيين ، قال أبو بكر وهذا من أبي العباس كثير لانه كان شديد النفس ، شرس الاخلاق ، وكان قليل الشهادة لأحد بالحق في عمله » (٢) اضافة إلى ذلك فانه نقل عن الكسائي في مواضع من الكتاب كثيرة ، وعن الفراء كذلك وقد كان يقول أحياناً في رواية شيء عنه قال أصحابنا عن الفراء » (٣) .
- أما اذا ما نقل مسألة خلافية فكان يستعرض رأي البصريين والكوفيين فيها ، ثم يرجح وكان كثيراً ما يميل الى الكوفيين في ذلك : قال مثلاً في قوله تعالى « ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله » « الانعام / ١١٧ » بعض نحويي البصرة موضعه خفض بنية الباء .. وقال بعض نحويي الكوفة : موضع رفع ، لانه بمعنى : أي ، والرافع له (يضل) ولما رجح قال : « والصواب من القول في ذلك أنه رفع بـ « يضل » وهو في معنى : أي ، وغير معلوم في كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض » (٤)

(١) معجم الادباء ٤٣٨/٦ .

(٢) معجم الادباء ٤٣٨/٦ .

(٣) تفسير الطبري ٣١٢/٧ .

(٤) تفسير الطبري ١٠/٨ .

وقال في « واختار موسى قومه سبعين رجلا » (الاعراف / ١٥٥) قال بعض نحويي البصرة : معناه واختار موسى من قومه سبعين رجلا ، ثم جاء بشواهدهم فيها ، وقال بعض نحويي الكوفة : إنما استجيز وقوع الفعل عليهم اذا طرحت « من » لانه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم ، وخير من القوم ، فاذا جازت الاضافة مكان « من » ولم يتغير المعنى استجازوا ان يقولوا : اخترتكم رجلا واخترت منكم رجلا . وجاء بشواهدهم ايضا ، ولما رجح قال : وهذا القول اولى عندي في ذلك بالصواب ، لدلالة الاختيار على طلب « من » التي بمعنى التبقيض ، ومن شأن العرب ان تحذف من حشو الكلام اذا عرف موضعه (١) إلى جانب ميله هذا إلى ارائهم ، نراه يتشدد في قبول رأى البصريين ويتعصب عليهم ، وينعتهم بأقسى النعوت كقوله فيهم : « زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة (٢) » وهذا قول اذا تدبره متدبر علم ان بعضه مفسد بعضا (٣) ثم انه يتابعهم في استشاداتهم بأقوال العرب شعرا او نثرا مما سيلحظه القارئ خلال البحث وخاصة ما كان ذكره القراء في كتابه ، وكذلك شأنه في القياس وبعد ان عرض لرأى البصريين والكوفيين في قوله تعالى : « الا أن تكون تجارة » (البقرة / ٢٨٢) مثلا قال : « والذي قال من حكينا قوله من البصريين غير خطأ في العربية غير ان الذي قلنا بكلام العرب اشبه ، وفي المعنى اصح » (٤) . وفي تعليقه على قوله تعالى : « ان كل نفس لما عليها حافظ » (الطارق / ٤) خير دلائل على اتباعه طريقتهم في القياس ، فقد نقل ان التخفيف في « لما » هو الكلام المعروف من كلام العرب .

(١) تفسير الطبري ٧٤/٩ .

(٢) تفسير الطبري ١٩٥/١ .

(٣) تفسير الطبري ٢١٩/١ .

(٤) تفسير الطبري ١٣٣/٣ .

وقد أنكر التشديد جماعة من أهل المعرفة بكلام العرب، والقراء كان يقول: لانعرف جهة التثقيف في ذلك، ونرى انها لغة في هذيل، فان كان صحيحاً ما ذكر القراء: أنها لغة هذيل، فالقراءة بها جائزة صحيحة، وان كان الاختيار ايضاً اذا صح ذلك عندنا القراءة الاخرى وهي التخفيف لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب. (١).

وفي كتابه نصوص تدل على أنه يقيس على لغات العرب، من غير أن يخطئ لغة منها، فأبى في القياس اذن كرأي الكوفيين فيه، ونراه يتبعهم ايضاً عندما يتعرض لقراءة آية، فاذا كان فيها قراءتان ذكرهما من غير أن يخطئ واحدة منها، وفي الكتاب مواضع كثيرة من هذا قال في قوله: «قل العفو» (البقرة/ ٢١٩) قرئت رفعاً ونصباً، ثم قال: «فبأي القراءتين قري ذلك عندي صواب لتقارب معنييهما مع استفاضة القراءة بكل واحدة منهما، غير أن أعجب القراءتين اليّ— وان كان الامر كذلك—قراءة من قرأ بالنصب لأن من قرأ به من القراء أكثر، وهو أعرف» (٢) وفي «لقد تقطع بينكم» (الانعام/ ٩٤) قري «بينكم» نصباً ورفعاً، فقال: «والصواب من القول عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب» (٣) وفي «وأن هذا صراطي» (الانعام/ ١٥٣) ذكر انها قرئت— أي ان— بالكسر والفتح، ثم قال فيها: «والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الامصار وعوام المسلمين، فبأي القراءتين قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته» (٤) وفي قوله «يُحْمَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاورٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ» (الحج/ ٢٣)

(١) تفسير الطبري ١٤٢/٣٠

(٢) تفسير الطبري ٣٦٨/٢

(٣) تفسير الطبري ٢٨٩/٧

(٤) تفسير الطبري ٨٣/٨

ذكر أن « لؤلؤ » قرئت نصباً وخفضاً ، ثم قال : « والقول في ذلك عندي
انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منها علماء من القراء ، متفقنا
المعنى صحيحنا المخرج في العربية ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب » (١) .
والدليل الآخر على انه يميل الى الكوفيين في آرائهم النحوية ، ما نقله في
تفسيره من مسائل كثيرة ، كان للبصريين فيها رأي يخالف رأي الكوفيين
وعندما يرجح ، كان ترجيحه مع الكوفيين في ذلك منها :

١. الكوفيون يجوزون نيابة بعض الحروف عن بعض (٢) ، وكذلك اورد الطبري
كثيراً من تلك الحروف ، وقال بنيابتها ، كما جاء في قوله تعالى : « ولأصلبكنم
في جذوع النخل » (طه / ٧١) ان « في » توضع موضع « على » ، و « على » في
موضع « في » في كل واحدة منهما تعاقب صاحبتهما في الكلام (٣) ولما نقل
تأويل الكوفيين لقوله تعالى « لا تعدن لهم صراطك المستقيم » (الاعراف / ١٦)
قال : المعنى لا تعدن لهم على طريقهم او في طريقهم (٤) مما يدل على أنهم
أجازوا هنا ان يكون « على » بمعنى « في » وكما قال في قوله تعالى : « عينا يشرب
بها عباد الله » (الدهر / ٦) الباء بمعنى « من » (٥) .

٢. نقل المبرد (٦) : ان الكوفيين يرون أن « الواو » تكون زائدة نحو « حتى اذا جاءوها
وفتحت ابوابها » و « فلما اسلما وتله للجبين » وكذلك قال الطبري في قوله
تعالى : « واقرب الوعد الحق » (الانبياء / ٩٧) الواو مقحمة ومعنى الكلام :
حتى اذا فتحت بأجوج ومأجوج اقرب الوعد الحق . وذلك نظير قوله :
« فلما أسلما وتله للجبين وناديناه » ، معناه : ناديناه بغير واو كما قال امرؤ القيس :

(١) تفسير الطبري ١٣٦/١٧ .

(٢) مدرسة الكوفة ص ٢٨٤ .

(٣) تفسير الطبري ١٢٠/٧ .

(٤) تفسير الطبري ١٣٥/٨ .

(٥) تفسير الطبري ٢٠٧/٢٩ .

(٦) المتنضب ١٨٠/٢ وينظر الانصاف ص ٤٥٦ .

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي بنا بطن نخت في حفاف عقنقل
يريد : فلما أجزنا ساحة الحي انتحي (١) .

٣. ويقول الكوفيون : أنه قد يكون للحرف الواحد معان (٢) وكذلك قال
الطبري كما في قوله تعالى «أو كصيب من السماء» (البقرة / ١٩) وفي قوله :
«أو اشد قسوة» (البقرة / ٧٤) وفي «وأنا أو أياكم» (سبا / ٢٤) : «فأو»
تأتي بمعنى الشك ، وقيل : بمعنى الواو (٣)

٤. ويسمي الكوفيون لام الابتداء لام اليمين (٤) وكذلك أوردها الطبري بهذه
التسمية قال في قوله تعالى : «لما آتيتكم من كتاب» (آل عمران / ٨١) قال بعض
نحويي البصرة «اللام» التي في «لما» في اول الكلام لام الابتداء نحو قول القائل :
لزيد أفضل منك .. وخطأ بعض نحويي الكوفيين ذلك ، وقال : اللام التي
تدخل في اوائل الجزاء لا تجاب ب(ما) ولا (لا) ، فلا يقال : لمن قام لا تتبعه ،
ولا لمن قام ما أحسن ... ثم قال : «فصارت اللام الاولى يمينا اذ تلقيت
بجواب اليمين (٥) ونقل في قوله تعالى : «ان الذين كفروا ينادون لمقت الله
أكبر من مقتكم أنفسكم» (المؤمن / ١٠) قول البصريين أنها لام الابتداء ومثله
في الاعراب يقال : لزيد افضل من عمرو .. قال آخر من الكوفيين : هذه
لام اليمين ... ثم قال : «واولى الاقوال في ذلك بالصواب من قال : دخلت لتؤذن
أن ما بعدها أثناف وانها لام اليمين» (٦) .

٥. قال الكوفيون : يجوز اضافة الشيء الى نفسه (٧) ، اما الطبري فقد نقل عنهم

(١) تفسير الطبري ٩٢/١٧ .

(٢) الانصاف ص ٤٧٨ ، جمع الهوامع ٣٦/٢ .

(٣) تفسير الطبري ٩٤/٢٢ ، ٣٦٢ ، ٤٩/١ .

(٤) مدرسة الكوفة ص ٢٨٤ .

(٥) تفسير الطبري ٣٣٠/٣ .

(٦) تفسير الطبري ٤٧/٢٤ .

(٧) الانصاف ص ٤٣٦ .

قولين وذلك في قوله تعالى : «أو آتيكم بشهاب قبس» (النمل/٧) الاول : أنه اذا أضفت الشهاب الى القبس ، فهو بمنزلة قوله : «ولدار الآخرة» ، مما يضاف الى نفسه اذا اختلف اسما ولفظا توهمنا بالتالي أنه غير الاول .. والآخر أنه ان كان الشهاب هو القبس لم تجز الاضافة لان القبس نعت ، ولا يضاف الاسم الى نعتة الا في قليل من الكلام ، فقال : «والصواب من القول في ذلك: ان الشهاب اذا أريد به أنه غير القبس، فالقراءة فيه بالاضافة لان معنى الكلام حينئذ ما بيننا من أنه شعلة قبس ... وأذا أريد بالشهاب أنه هو القبس أو أنه نعت له فالصواب في «الشهاب» التنوين ، لان الصحيح في كلام العرب ترك اضافة الاسم الى نعتة والى نفسه (١) .

٦. «مالك» تعمل عمل كان ووطن، فقد نقل عن الكوفيين أنهم قالوا بذلك حينما استعرض قوله : «فما لكم في المنافقين فئتين» (النساء/٨٨) قال البصريون : منصوب على الحال ، والكوفيون : على فعل «مالك» كما ينصب كان ووطن لأنهم نواقص في المعنى ثم قال «وهذا القول أولى بالصواب في ذلك لانه المطلوب في قول السقائل : مالك قائماً القيام ، فهو في مذهب كان وأخواتها ووطن وصوابها (٢)»

مصطلحاته النحوية :

ولم يخرج الطبري في استعماله المصطلحات النحوية عما استعمله الكوفيون منها وكذلك تابعهم في عباراتهم . ولكن قد يعترض معترض في أنه قد أورد مصطلحات البصريين أيضاً فكيف نحكم أنه يميل الى الكوفيين في هذا . والجواب عن هذا أن الطبري كان يذكرها منفردة ، ثم ينص على قول البصريين فيها أو قد يذكرها منسوبة الى الكوفيين ويورد ما يقابلها من الفاظ البصريين ثم يرجح رأى الكوفيين ويؤيده والمصطلح يأتي ضمن ذلك الرأى . فعبارته واضحة توحي انه لا يستعمل الا ما استعملوه . ومن السهل على القارئ أن يكشف

(١) تفسير الطبري ١٩/١٣٣ .

(٢) تفسير الطبري ٥/١٩٥ .

هذا . فانه كان يتابع شيوخ الكوفيين الكسائي والفراء وتعلب بذلك كما سنعرضه في هذه الصفحات :

١. المردود :

ورد هذا المصطلح في كتاب الطبري كثيراً ومعناه مختلف في كثير من المواضع عن غيرها فقد يقصد به البدل او العطف وهو الاكثر . واورده النحويون الكوفيون قبله كالكسائي والفراء فهو عند الكسائي بمعنى البدل . فقد نقل الزجاجي عنه أنه أوردته في المناقشة التي جرت بينه وبين الاصمعي في قول الشاعر :

ام كيف ينفع ما تعطي العسوق به رثمان أنف إذا ماضن باللبن
قال الاصمعي : رثمان أنف بالنصب فقال الكسائي : اسكت ما أنت وذاك
يجوز بالرفع والنصب والخفض . اما الرفع فعلى الرد على «ما» لانها في موضع رفع «ينفع» والنصب بـ «تعطي» والخفض على الرد على الهاء التي في به (١)
واورده الفراء كثيراً في كتابه أيضاً من ذلك قوله في «بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا» (البقرة/٩٠) ان يكفروا في موضع خفض ورفع . واما خفض فان ترده على الهاء التي في «به» على التكرير (٢) وفي «انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون» (البقرة / ١٢٠) ليست بجواب لقوله «وما يعلمان» انما هي مردودة على قوله «يعلمون الناس السحر فيتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم» . (٣) وفي «قل قتال فيه كبير وصد» (البقرة / ٢١٧) ففي الصد وجهان : ان شئت جعلته مردوداً على الكبير (٤) وفي «ما نراك أتبعك الا الذين هم أراذلنا» (هود / ٢٧) فقال : رفعت الاراذل بالاتباع وقد وقع الفعل في اول الكلام على اسمه ولا تكاد العرب تجعل المردود بـ «الا»

(١) امالي الزجاجي ص ٥١ .

(٢) معاني القرآن ج ١ ص ٥٦ والتكرير من مصطلحه بمعنى البدل كما سنبين .

(٣) معاني القرآن ج ١ ص ٦٤ .

(٤) معاني القرآن ج ١ ص ١٤١ .

الا على المبتدأ لاعلى راجع ذكره وهو جائز (١) وفي «فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة» (محمد / ١٨) وان مردوده على الساعة (٢).

فهو في استعمال الكسائي بمعنى البدل وعند الفراء بمعنى البدل والعطف، واذا ما استقرينا المواضع التي جاء الطبري بهذا المصطلح فيها رأيناه لا يخرج عن أحد المعنيين.

وقد يؤكد هذا فيذكر معها العطف أو قد يتركه ومعنى البدلية فيه واضحة. ولكن يمكن أن نقول انه عنى به التبعية التي تدخل تحت معانيها هذه المصطلحات. ففي آية القتال التي أسلفنا ذكرها قال في رفع «صد»: قال بعض نحوي الكوفيين في رفعه وجهان ان يكون مردودا على الكبير يريد القتال فيه كبير وصد عن سبيل الله ثم قال ... والبصريون يقولون معطوف على الكبير (٣) وفي «يوم ينفخ في الصور ففرع» (النمل / ٨٧) جعل فرع وهي فعل مردودة على «ينفخ» وهي يفعل.. (٤) وفي قوله «ويقطعون ما امر الله به ان يوصل» (البقرة / ٢٧) «ان» التي مع «يوصل» في محل خفض بمعنى ردها على موضع الهاء التي في «به» وكان معنى الكلام ويقطعون الذي امر الله بان يوصل (٥) وفي قوله «قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله» (آل عمران / ١٣) رفعت فئة كقول الشاعر:

وكنت كاذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكذلك تفعل العرب في كل مكرر على نظير له قد تقدمه اذا كان المكرر

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٥

(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦١

(٣) تفسير الطبري ٣٥٢/٢

(٤) تفسير الطبري ٦٥/٢٤

(٥) تفسير الطبري ١٨٤/١

خبراً ترده على اعراب الاول مرة وقد جرّ ذلك كله فخفض على الرد على اول الكلام كأنه يعني اذا خفض ذلك فكنت كذى رجلين كذى رجل صحيحة ورجل سقيمة وكذلك انخفض في قوله «فئة» جائز الرد على قوله : «في فئتين التفتا فئة تتماثل في سبيل الله» (١) وفي «بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين» (ال عمران/١٦٩) لو كان «فرحون» رفعا بالرد على قوله : «بل احياء عند ربهم فرحون» كان جائزا (٢) وفي «مالكم من اله غيره» (الاعراف / ٥٩) ترفع «غير» رد الها على موضع «من» لان موضعها رفع لو نزلت من الكلام لكان الكلام رفعا وقيل «مالكم اله غيره الله» (٣) وفي قوله «واسروا النجوى الذين ظلموا» (الانبياء / ٣) الخفض تابع للناس في قوله «اقرب للناس حسابهم» الرفع على الرد على الاسماء الذين في قوله (واسروا النجوى) من ذكر الناس كما قيل (ثم عموا وصموا كثير منهم) (٤) وفيما تقدم معنى العطف والبدل واضح ولكن مع هذا نجده يذكر النعت والصفة مع لفظ المردود ففي قوله « الذي جعل لكم الارض فراشا» (البقرة/ ٢٢) مردود على الذي الاول في قوله «اعبدوا ربكم الذي خلقتكم» (البقرة / ٢١) وهما جميعاً من نعت ربكم (٥) وفي قوله «في لوح محفوظ» (البروج / ٢٢) محفوظ رفعا ردا على القرآن على انه من نعت وصفته (٦) . فالمردود من لفظ الكوفيين لم نجد البصريين يستعملونه والمقصود به البدل أو العطف وقد يدخل النعت فيه ولعل اشارته إلى ان العرب تؤثر رد الاسماء على الاسماء مثالها والافعال على الافعال (٧) تعيننا على تحديد مصطلح المردود بهذه المعاني التي نقلنا نماذج من استعمال الكوفيين له.

-
- | | | |
|-----|--------------|--------|
| (١) | تفسير الطبري | ١٩٤/٣ |
| (٢) | تفسير الطبري | ١٧٤/٤ |
| (٣) | تفسير الطبري | ٢١٣/٨ |
| (٤) | تفسير الطبري | ٢/١٧ |
| (٥) | تفسير الطبري | ١٦١/١ |
| (٦) | تفسير الطبري | ١٢٠/٣٠ |
| (٧) | تفسير الطبري | ٢٠٣/٣٠ |

٤. النسق : الغالب أنه من مصطلحاتهم والمراد به : العطف بحروف العطف استعماله الفراء وثعلب (١) وأورده السيوطي (٢) على أنه من مصطلحات الكوفيين . أما الطبري فقد أورده في مواضع كثيرة من كتابه وعلى سبيل المثال قال في قوله « ويكفر عنكم من سيئاتكم » (البقرة / ٢٧١) فان قال قائل : وكيف اخترت الجزم على النسق على موضع الفاء . وتركت اختيار نسقه على ما بعد الفاء وقد علمت ان الافصح من الكلام في النسق على جواب الجزء (٣) وفي «ان تفضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى» (البقرة / ٢٨٢) نصب نسقاً عليه وان كان في معنى الجزء وقال : ونسق الثاني . اعني : فتذكر على «تفضل» (٤) وفي قوله «اولتعودن في ملتنا» (ابراهيم / ١٣) «أو» بمعنى «الا» اذا كانت «أو» حرف نسق (٥) وفي «ثم ليقضوا تفثهم» (الحج / ٢٩) وكذلك يفعلون في لام الامر اذا كان قبلها حرف من حروف النسق كالواو والفاء وثم (٦).

٣. الترجمة او التكرير :

أورده الفراء كثيراً وثعلب (٧) على أنه يعني البدل وذكر السيوطي (٨) : أنهم يسمونه التبيين ونقل عن ابن كيسان : التكرير اما الترجمة عنده فهي عطف البيان وكذلك ذكره الاشموني وهما عند الطبري بمعنى البدل وعطف البيان فذكره بلفظ الترجمة مرة و بلفظ الترجمة والتكرير مرة أخرى قال في قوله عز وجل «من الذين استحق عليهم الاوليان» (المائدة / ١٠٧) الذين قرأوا «الأولين» فانهم قصدوا في معناه

- (١) معاني القرآن ٧٥/١ ، ٢٣٥ و ١٦/٢ ؛ وفي مجالس ثعلب ١٤٦/١
- (٢) مع الهوامع ١٢٨/٢ وينظر مدرسة الكوفة ص ٣١٥ .
- (٣) تفسير الطبري ٩٣/٣
- (٤) تفسير الطبري ١٢٤/٢ ؛ ١٢٥
- (٥) تفسير الطبري ١٩١/١٣
- (٦) تفسير الطبري ١٥٢/١٧
- (٧) معاني القرآن ١٢٥ و ١٧٨/٢ ؛ ٥/٣ وفي مجالس ثعلب ٢٠/١
- (٨) مع الهوامع ١٢١/٢ ؛ ١٢٥ و شرح الاشموني ص ٤٣٥

الى الترجمة به عن «الذين» فأخرجوا ذلك على وجه الجمع» (١) وقال في «كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم» (الانعام/٥٤) يجعلون «ان» منصوبة على الترجمة بها عن الرحمة (٢) وفي «جهنم يصلونها» (ابراهيم/٢٩) ترجم عن دار البوار (٣) (الآية/٢٨) وفي «وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطاً أمماً» (الاعراف/١٦٠) والصواب من القول في ذلك عندى ان الاثنتي عشرة أنثت لتأنيث القطعة ومعنى الكلام وقطعناهم قطعاً اثنتي عشرة ترجم عن «القطع» بالاسباط وغير جائز ان تكون الاسباط مفسرة عن الاثنتي عشرة .. (٤) وفي «ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال» (النمل/١١٦) خفض «الكذب» فيجعل ترجمة عن «ما» التي في «لما» فتخفزه بما تخفض به «ما» وقد حكي عن بعضهم «الكذب» فيجعل من صفة الألسنة. (٥) وفي «وكذلك حققت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم اصحاب النار» (المؤمن/٦) قال بعض نحويي البصرة معناه: لأنهم أو بأنهم .. وقال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن قوله أنهم «ترجمة عن الكلمة بمعنى: وكذلك حق عليهم عذاب النار الذي وعد الله اهل الكفر به» (٦) وفي «أن يكفروا» (البقرة/٩٠) أما الخفض في «أن» فان ترده على الهاء التي في «به» على التكرير على كلامين .. أما الرفع فان يكون مكرراً على موضع «ما» التي تلي «بشس» وتكون «ان» مترجمة عن «بشما» (٧) وقال في «ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه» (البقرة/١١٤) أن نصب بفقد الخامض وتعلق الفعل بها . والوجه الآخر أن يكون معناه ومن أظلم ممن منع أن يذكر أسم الله في مساجده فتكون «ان» حينئذ في موضع

(١) تفسير الطبري ١١٩/٧

(٢) تفسير الطبري ٢٠٨/٧

(٣) تفسير الطبري ٢١٩/١٣

(٤) المصدر نفسه ٨٨/٩

(٥) تفسير الطبري ١٨٩/٢٤

(٦) تفسير الطبري ٤٣/٢٤

(٧) تفسير الطبري ٤١٤/١

نصب تكرير على موضع المساجد وردا عليه (١) وفي «مافعلوه الا قليل منهم» (النساء/٦٩) بعض نحويي البصرة يزعم ان رفع «قليل» لأنه جعل بدلا من الأسماء المضمره في قوله «مافعلوه» لأن الفعل لم. وقال بعض نحويي الكوفة إنما رفع على نية التكرير كأن معناه : مافعلوه مافعله الا قليل منهم .. اذ كان الفعل مشغولا بما في كناية من قد جرى ذكره ثم استثنى منهم القليل (٢) وفي قول الشاعر :

ذريني إن امرك لن يطاعا وما ألفتيني حلمي مضاعا

فاللحم منصوب بـ «ألفتيني» (٣) على التكرير . وفي قوله تعالى «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع» (الكهف/٣٠) ترك الكلام الاول واعتمد على الثانية بنية التكرير كما قيل : «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه» بمعنى عن قتال فيه على التكرير وكما قال الشاعر :

ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم (٤)

وفي قوله «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة» (طه/١-٣) بعض نحويي البصرة يقول : قال الا تذكرة بدلا من قوله : لتشقى . وكان بعض نحويي الكوفة يقول نصبت على قوله : ما أنزلنا الا تذكرة وكان بعضهم ينكر قول القائل : نصبت بدلا وذلك غير جائز لأن «لتشقى» في الجحد والا تذكرة في التحقيق ولكنه تكرير (٥) وفي «اثن ذكرتم» (يس/٦٩) أدخلت الف الاستفهام على «أن» التي هي حرف جزاء في قول بعض نحويي البصرة وفي قول بعض الكوفيين منوي به التكرير كأنه قيل : قالوا طائر كم معكم ان ذكرتم فمعكم طائر كم فحذف الجواب اكتفاء بدلالة الكلام عليه (٦)

(١) تفسير الطبري ٤٩٨/١

(٢) تفسير الطبري ١٦١/٥

(٣) تفسير الطبري ١٩٦/١٣

(٤) تفسير الطبري ٢٤٢/١٥

(٥) تفسير الطبري ١٩٧/١٧

(٦) تفسير الطبري ١٢٨/٢٢

٤. القطع : مصطلح استعماله الكوفيون بمعنى الحال فقد جاء في معاني القرآن للفرأ في قوله « هدى » نصب « هدى » على القطع لأن « هدى » نكرة اتصلت بمعرفة قد تم خبرها فنصبها لأن النكرة لا تكون دليلاً على معرفة وأن شئت « هدى » على القطع من الهاء التي في « فيه » كأنك قلت : لاشك فيه هادياً (١) وقال في « إنها لأحدى الكبر ، نذيراً للبشر » (المذثر/٣٥) نصبه على القطع وعلى الحال وإذا حسن فيه المدح أو الذم فهو وجه ثالث (٢) وفي « كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً » (فصلت / ٣) تنصب قرآناً على الفعل أي فصلت آياته كذلك ويكون نصباً على القطع لأن الكلام تام عند قوله : آياته (٣) فهو في هذه النصوص بمعنى الحال وذكره ثعلب مع الحال ايضاً (٤) ثم نجد الطبري يكثر من استعماله مقصوداً به الحال فيستعمله مستقلاً أو يذكر معه لفظ الحال قال في قوله « هدى للمتمقين » (البقرة / ٢) وقوله « هدى » يحتمل أوجهاً من المعاني : أحدها ان يكون نصباً لمعنى القطع من الكتاب لأنه نكرة والكتاب معرفة فيكون التأويل حينئذ : ألم ذلك الكتاب هادياً ، وقد يحتمل أن يكون نصباً على القطع من راجع الكتاب الذي في « فيه » فيكون معنى ذلك حينئذ : ألم الذي لا ريب فيه هادياً ، وقد يحتمل أن يكون نصباً على هذين الوجهين . أعني على وجه القطع من الهاء التي في « فيه » وفي « الكتاب » (٥) وفي « متاعاً بالمعروف » (البقرة / ٢٣٦) وقد يجوز أن يكون « متاعاً » منصوباً قطعاً من القدر من قوله : « على الموسع قدره » لأن « المتاع » نكرة والقدر معرفة . وفي قوله « حقاً على المحسنين » وهو من نعت المعروف والمعروف معرفة .

-
- (١) معاني القرآن ١٢/١
 - (٢) المصدر نفسه ٣١٩/١
 - (٣) المصدر نفسه ١١/٣
 - (٤) مجالس ثعلب ١٤٦/١
 - (٥) تفسير الطبري ٩٨/١

والحق نكرة نصب على القطع منه (١) وفي « قائماً بالقسط » (آل عمران ١٨) نصب قائماً على القطع وكان بعض نحوي أهل البصرة يزعم أنه حال من « هو » في قوله « لا اله الا هو » وكان بعض نحوي الكوفة يزعم أنه حال من اسم الله ، والصواب عندي قول من جعله قطعاً على أنه من نعت اسم الله (٢) وفي « للذي ببكة مباركاً » (آل عمران ٩٦) والمبارك نكرة فنصب على القطع منه في قول بعضهم وعلى الحال في قول بعضهم (٣) .

وفي « سلقوكم بالسنة حداد اشحة » (الاحزاب / ١٩) نصب « اشحة » على الحال من ذكر الاسم الذي في قوله « لا ياتون الناس » وقد يحتمل أن يكون قطعاً من قوله « قد يعلم الله المعوقين منكم » .. ويجوز ان يكون قطعاً من قوله « هلم الينا اشحة » (٤) .

وفي « إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين » (المؤمن / ١٨) قال بعض نحوي البصرة انتصابه على الحال ... وكان بعض نحوي الكوفة يقول : الالف واللام بدل من الاضافة كأنه قال : إذ قلوبهم لدى حناجرهم في حال كظمهم وقال آخر منهم : هو نصب على القطع من المعنى الذي يرجع من ذكرهم في القلوب والحناجر. والمعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين. قال : فان شئت جعلت قطعه من الهاء التي في قوله : « وأُنذِرهم » قال والأول أجود في العربية (٥) .
٥. الصرف (٦) : عرف الفراء الصرف فقال هو أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أول حادثة لاتستقيم اعاذتها على ماعطف عليها ، فاذا كان ذلك كذلك فهو الصرف كقول الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله

-
- | | | |
|-----|--|----------|
| (١) | تفسير الطبري | ٥٣٨ / ٢ |
| (٢) | تفسير الطبري | ٢١٠ / ٣ |
| (٣) | تفسير الطبري | ١٠ / ٤ |
| (٤) | تفسير الطبري | ١٤٠ / ٢١ |
| (٥) | تفسير الطبري | ٥٣ / ٢٤ |
| (٦) | يقول الدكتور المحفومي فيه : أنه انصب على الخلاف. ينظر مدرسة الكوفة ص ٢٩٥ . | |

ألا ترى أنه لا يجوز إعادة «لا» في تأتي مثله. فلذلك سمي صرفاً إذا كان معطوفاً ولم يستقم ان يعاد فيه الحادث الذي قبله (١) وفي موضع آخر قال :
والصرف ان يجتمع الفعلان بالواو أو «ثم» أو «الفاء» أو «أو» وفي اوله جحد او استفهام.
ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتنعاً أو يكرر في العطف فذلك الصرف (٢) ثم يأتي الطبري ليقول فيه والصرف ان يجتمع فعلاان ببعض حروف النسق وفي اوله ما لا يحسن اعادته ، مع حرف النسق فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف لأنه مصروف عن معنى الاول ، ولكن يكون مع جحد او استفهام او نهي أول الكلام (٢) وهكذا كان يورده في مواضعه ، قال في «ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق» (البقرة ٤٢) «وتكتموا» منصوباً لانصرافه عن معنى قوله «ولاتلبسوا» اذ كان «ولاتلبسوا» نهياً وقوله «ولاتكتموا الحق» خبراً معطوفاً عليه غير جائز ان يعاد عليه ما عمل في قوله «تلبسوا» من الحرف الجازم ذلك هو المعنى الذي يسميه النحويون : صرفاً ونظير ذلك في المعنى والاعراب قول الشاعر

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
معناه لاتنه عن خلق وأنت تأتي مثله . فكان الاول نهياً والثاني خبراً فنصب الخبر اذ عطف على غير شكله (٤)

وقال في قوله «وقال الملاء من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذكرك وأهلكك» (الأعراف/١٢٧) نصب يذكرك على الصرف لاعلى العطف به على قوله «ليفسدوا» .

والثاني ليفسدوا في الارض وليذكرك وأهلكك ، على العطف . والوجه الأول اولى الوجهين بالصواب وهو أن يكون نصب ويذكرك على الصرف وفي قراءة أبي كعب وقد تركوك ان يصدوك وأهلكك دلالة واضحة على أن نصب ذلك على الصرف (٥) .

(١) معاني القرآن ٣٣/١

(٢) معاني القرآن ٣٣٥/١

(٣) تفسير الطبري ١٠٨/٤

(٤) تفسير الطبري ٢٥٥/١

(٥) تفسير الطبري ٢٤/٩ هذه ليست قراءة على الحقيقة وإنما هي من باب تأويل القرآن والنحاس يسميها : قراءة على التفسير . ينظر القطع والائتناف ص ١٨٦ ، ٣٨٤ ، ٤٦٧ .

٦. التفسير: وهو التمييز استعماله الفراء وثعلب (١) وذكره السيوطي (٢) (ب) التبيين والمبين والتفسير) ولكنه لم ينسبه إلى أحد وأورده الطبري في كتابه أيضاً قال، في «حسن اولئك رفيقاً» (النساء/٦٩) أما نصب الرفيق فإن أهل العربية مختلفون فيه فكان بعض نحويي البصرة يرى أنه منصوب على الحال ويقول هو كقول الرجل: كرم زيد رجلاً ويعدل به معنى: نعم الرجل ويقول ان «نعم» لا تقع الا على اسم فيه الف ولام او على نكرة وكان بعض نحويي الكوفة يرى أنه منصوب على التفسير وينكر أن يكون حالا ويستشهد على ذلك بأن العرب تقول: كرم زيد من رجل وقال: وقد حكى عن العرب: نعمت رجلاً فدل على ان ذلك نظير قوله وحسنتم رفقاء وهذا القول اولى بالصواب للعللة التي ذكرنا لقائله (٣).

وفي «اوعدل ذلك صياماً» (المائدة/٩٥) نصب صياماً على التفسير كما يقال: عندي ملء زق سمناً وقدر رطل عسلاً (٤) وفي «ونمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً» (الانعام/١١٥) الصدق والعدل نصبا على التفسير للكلمة كما يقال عندي عشرون درهماً (٥) وفي «فالله خير حافظاً» (يونس/٦٤) على توجيه الحافظ إلى تفسير للخير كما يقال هو خير رجلاً (٦) وفي ملء الارض ذهباً (آل عمران/٩١) نصب ذهباً على الخروج من المقدار الذي قبله والتفسير منه وهو قوله «ملء الارض كقول القائل: عندي قدر زق: سمناً وقدر رطل عسلاً. فالعسل مبين به ما ذكر من المقدار وهو نكرة منصوبة على التفسير للمقدار والخروج منه (٧)

(١) معاني القرآن ١٧/١-١٨/١ و٢٢٥/١٢٩ و٢٦٥/١ و٢٣٧/٢

(٢) مع الهوامع ٢٥/١

(٣) تفسير الطبري ١٦٣/٥

(٤) تفسير الطبري ٥٧/٧

(٥) تفسير الطبري ٩/٨

(٦) تفسير الطبري ٣٤٦/٣

(٧) تفسير الطبري ٣٤٦/٣

وفي «كبرت كلمة» (الكهف/٥) نصب كلمة بمعنى كبرت كلمتهم. التي قالوها كلمة على التفسير كما يقال : نعم رجلا عمرو (١) وفي (فله جزاء الحسنى) (الكهف / ٨٨) جزاء منصوب على المصدر بمعنى يجازيهم جزاء الجنة ويكون الجزاء نصيباً على التفسير (٢) وفي «كبر مقتاً عند الله» (الصف/ ٣) قال بعض نحوي البصرة اى كبر مقتاً لانه كبر كقوله : بش رجلا أخوك والصواب من القول عندي ان قوله مقتاً منصوب على التفسير كقول القائل : كبر قولاً هذا القول (٣) .

وذكر العدد فقال : العدد كلمة يفسر به . فيقال : رأيت قوماً أربعة فلما جاء باثنين وقد اكتفى بالعدد منه لانهم يقولون : عندي درهم ودرهمان يكفي فاذا قالوا : دراهم قالوا : ثلاثة (٤)

٧. الكناية والمكنى : المراد بهما الضمائر استعمالهما القراء وثعلب (٥) وذكرها السيوطي انهما من مصطلحاتهم (٦) وهذا هو استعمال الطبري له قال : في «فسواهن» (البقرة/٢٩) أخرج مكنيهم مخرج مكنى الجميع (٧) وفي «ثم انتم هؤلاء» (البقرة/٨٦) أنتم كناية عن المخاطبين (٨) وفي «فأنه نزله على قلبك» (البقرة/٩٧) مضافاً إلى كناية نفس المخبر عن نفسه (٩) «وفي يا حسرتا» (الزمر/ ٥٦) الالف في يا حسرتا هي كناية المتكلم وانما اريد يا حسرتي ولكن العرب تحول

(١) تفسير الطبري ١٥/١٩٣

(٢) تفسير الطبري ١٦/١٣

(٣) تفسير الطبري ٢٨/٨٥

(٤) تفسير الطبري ١/١٧٣

(٥) معاني القرآن ١/٤٥٠، ١٠٤، ٢٣١ ومجلس ثعلب ١/٣٠

(٦) معجم المصطلحات ١/٥٦، وينظر مدرسة الكوفة ص ٣١٤

(٧) تفسير الطبري ١/١٩٢

(٨) تفسير الطبري ١/٣٩٦

(٩) تفسير الطبري ١/٤٣٦

الياء التي في كناية اسم المتكلم في الاسعانة الفا فتقول يا ياويلتا (١) وفي «أتينا طائعين» (فصلت / ١١) أن النون والالف اللتين هما كناية أسمائهما في قوله «أتينا» ، نظير كناية أسماء المخبرين من الرجال عن أنفسهم (٢) وفي «فهل عسيتم» (محمد/ ٢٢) بكسر السين وفتح الياء ولو كان صواباً كسرهما اذا اتصل بها مكني جاءت بالكسر مع غير المكني وفي اجماعهم على فتحها مع الاسم الظاهر الدليل الواضح على أنها كذلك مع المكني . (٣)

٨. العماد والمجهول : يقول الدكتور مهدي المخزومي أن العماد من عبارات الكوفيين يقابله عند البصريين الفصل (٤) أما المجهول فيقابله عندهم ضمير الشأن والقصة والحديث (٥) وهذا الأخير ذكره السيوطي (٦) أما الطبري فقد ذكره مرة باسم العماد فيتنفق مع الفراء كما قال في «وهو محرم عليكم اخراجهم» (البقرة/ ٨٥) هو أن يكون كناية عن الاخراج الذي تقدم والتأويل الثاني أن يكون عماداً (٧) وهذا الذي استعمله الفراء (٨) وكما في قوله «فاذا هي شاخصة أيسار الذين كفروا» (الانبياء/ ٩٧) هي تكون عماداً (٩) وكذلك سماه الفراء (١٠) وفي (قل هو الله أحد) هو عماد بمنزلة الهاء في قوله «انه أنا الله العزيز الحكيم» (١١) وكذلك قاله الفراء (١٢) ويورد العماد والمجهول معاً

-
- (١) تفسير الطبري ١٨/٢٤
 - (٢) تفسير الطبري ٩٩/٢٤
 - (٣) تفسير الطبري ٥٧/٢٦
 - (٤) مدرسة الكوفة ص ٣١٢
 - (٥) مدرسة الكوفة ص ٣١١
 - (٦) معجم الهوامع ٦٧/١-٦٨
 - (٧) تفسير الطبري ٤٠٠/١
 - (٨) معاني القرآن ٥١/١
 - (٩) تفسير القرآن ٩٢/١٧
 - (١٠) معاني القرآن ٢١٢/٢
 - (١١) تفسير الطبري ٣٠٣/٣٠
 - (١٢) معاني القرآن ٢٩٩/٣

مع أن الفراء لم يذكر فيها إلا العماد كما في قوله «إنه أنا الله» (النمل ٩/ الهاء هي عماد وهو اسم لا يظهر في قول أهل العربية وكان بعض نحوي الكوفة يقول : هي الهاء المجهولة ومعناها أن الامر والشأن أنا الله (١)

ويذكرهما أحياناً بالعماد والمجهول معاً أو بالمجهول أو مستقلين مع أن الفراء لم يذكرهما، كما في قوله «أنه كان فريق من عبادي» (المؤمنون/١٠٩) هذه الهاء التي في قوله «انه» هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة (٢) وفي «يابني أنها أن تلك مثقال حبة» (لقمان/١٦) قال بعض نحوي البصرة ذلك كناية عن المعصية والخطيئة وقال بعض نحوي الكوفة وهذه الهاء عماد ... ومن نصب جعل في «تكن» اسماً مضمراً مجهولاً مثل الهاء التي في قوله «أنها أن تلك» (٣)

٤. التقريب :

المراد به اسم الإشارة ذكره الفراء و ثعالب (٤) وأورده السيوطي (٥) ايضاً واستعمله الطبري كما في قوله تعالى «هؤلاء بناتي هن اطهر لكم» (هود/٧٨) فقال : وانما لم يجز أن يقع الفعل ههنا لان التقريب رد كلام فلم يجتمعاً لأنه يتناقض لأن ذلك اخبار عن معهود وهذا اخبار عن ابتداء ما هو فيه : ها آنذا حاضر (٦) وفي «ها أنتم هؤلاء تدعون» (محمد / ٣٨) أدخلت ها في موضعين لان العرب اذا أرادت التقريب جعلت المكني بين «ها» وبين «ذا» فقالت : ها أنت ذا قائماً لان التقريب جواب الكلام فربما اعادت «ها» مع «ذا» وربما أجتزأت بالاولى . وقد حذفت الثانية ولا يقدمون انتم قبل «ها» لان «ها» جواب فلا تقرب بها بعد الكلمة (٧)

(١) تفسير الطبري ١٣٥/١٩ وينظر معاني القرآن ٢٨٧/٢

(٢) تفسير الطبري ٦٠/١٨

(٣) تفسير الطبري ٧١/٢١

(٤) معاني القرآن ١٢/١ . ٢٣٢ ومجالس ثعلب ٤٣/١ - ٣٥٩/٢

(٥) جمع الموانع ١١١/١ قال : هذا وهذه سموها تقريبا .

(٦) تفسير الطبري ٨٥ / ١٢

(٧) تفسير الطبري ٦٥/٢٦

١٠. حروف الصلة والحشو :

يقابلها عند البصريين حروف الزيادة (١) واستعملها الفراء (٢) وأوردها الطبري في مواضع كثيرة منها في قوله « ولا الضالين » كان بعض أهل البصرة يزعم أن « لا » مع « الضالين » أدخلت تسمية للكلام والمعنى الغاؤها ويستشهد على قوله ذلك بقول العجاج :

في بشر لاحور سرى وما شعر

ويتأوله بمعنى : في بشر حور سرى . أي في بشر هلكة وان « لا » بمعنى الالغاء والصلة (٣) وفي « فاما يأتينكم مني هدى » (البقرة / ٣٨) ما التي بمعنى توكيد الكلام التي يسميها أهل العربية صلة وحشوا (٤) .

١١. حروف الصفات :

أوردها الفراء كثيراً في كتابه (٥) ويقصدها حروف الخفض والظروف فقد قال في قوله (لا تجزي نفس عن نفس شيئاً) (البقرة / ٤٨) قال : يجوز لا تجزي نفس عن نفس شيئاً وتضمير الصفة ثم تظهرها فتقول : لا تجزي فيه وكان الكسائي لا يجوز اضممار الصفة في الصلات (٦) وكذلك في قوله « لافيها غول » (الصفات / ٤٧) لو قلت لا غول فيها كان رفعاً ونصباً ، فاذا حلت بين لا وبين القول بلام او بغيرها من الصفات لم يكن الا الرفع (٧) وذكره باسم المحال ايضاً (٨) . اما الطبري فقد جاء بالمعنيين أيضاً فقال في « واذا خلوا الى شياطينهم » (البقرة / ١٤) معنى الى شياطينهم أي مع شياطينهم ، اذ كانت حروف الصفات يعاقب بعضها بعضاً ... (٩) « وفي عليكم أنفسكم » (المائدة / ١٠٥) نصب أنفسكم بالاغراء ، والعرب تغري من الصفات بعليك وعندك ودونك واليك (١٠) وفي « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » (المائدة / ١١٩) رجح نصب اليوم فيكون حينئذ منصوباً على الوقت والصفة ، بمعنى هذا الامر في يوم ينفع ، واولى

- | | |
|------------------------------------|------------------------|
| (١) مدرسة الكوفة ص ٣١٥ | (٦) معاني القرآن ٣٢/١ |
| (٢) معاني القرآن ٢٤٤/١ ١٢٧/٣٤ ١٨٩٠ | (٧) معاني القرآن ٣٨٥/٢ |
| (٣) تفسير الطبري ٨٩/١ | (٨) معاني القرآن ٣٢٢/١ |
| (٤) تفسير الطبري ٢٤٦/١ | (٩) تفسير الطبري ١٣١/١ |
| (٥) معاني القرآن ١٢/١ ٣٨٥/٢ | (١٠) تفسير الطبري ٩٤/٧ |

القرائتين في ذلك عندي بالصواب : هذا يوم ينفع بنصب اليوم على انه منصوب على الوقت والصفة (١) وفي «بشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب» (هود / ٧١) اسحاق وان كان مخفوضاً فانه بمعنى المنصوب بعمل «بشرنا فيه ..» وأما الكوفي فانه قرأ بتأويل الخفض فيما ذكر عنه غير أنه نصبه لأنه لايجرى وقد أنكر ذلك أهل العلم من العربية من أجل دخول الصفة بين حرف العطف والاسم (٢) وقال في الشاهد :

قلت أجيبني عاشقاً بحبك مكلّف

فمكلّف من نعت عاشق وقد رفعه بحرف الصفة وهو الباء (٣)

١٢. ما لم يسم فاعله :

وهو نائب الفاعل فقد أورده الفراء وثعلب (٤) وأورده الطبري في كتابه كثيراً قال في «الا ان يخافا» (البقرة/٢٢٩) المتروك الذي لم يسم فاعله ، والخوف عامل فيما لم يسم فاعله (٥) وفي «سيكتب ما قالوا» (أل عمران/١٨١) يقرأ على مذهب ما لم يسم فاعله ، أو على مذهب ما يسمى فاعله (٦) وفي «فاما الذين سعدوا» (هود / ١٠٨) قرئت «سعدوا» فيما لم يسم فاعله وانت لا تقول في الخبر فيما سمي فاعله : سعده الله ، بل انما تقول : أسعده الله وقيل : ذلك نظير قولهم : مجنون ومحبوب ، فيما لم يسم فاعله فاذا سموا فاعله قيل اجنه الله وأحبه (٧) .

١٣. الاجراء وترك الاجراء :

وهو الصرف والمنع من الصرف ذكره الفراء (٨) ، وأورده الطبري

- (١) تفسير الطبري ١٤٠/٧
- (٢) تفسير الطبري ٧٦/١٢
- (٣) تفسير الطبري ١٠٠/٢٠
- (٤) معاني القرآن ٢٥٧/١ ومجالس ثعلب ٢٠٨/١
- (٥) تفسير الطبري ٤٩١/٢
- (٦) تفسير الطبري ١٩٦/٤
- (٧) تفسير الطبري ١١٩/١٢
- وسماها السيوطي حروف الاضافة فينظر مع المواضع ١٩/٢ ، والمخزومي : المحل والصفة ينظر مدرسة الكوفة ص ٣٠٩
- (٨) معاني القرآن ٢٥٥/١ ، ٣٤٠ ، ٢١٧/٣

كثيراً قال في : «اهبطوا مصر» (البقرة/٦١) وقيل مصرّاً. وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك بالاجراء والتنوين .. غير انه أجراها ونونها اتباعاً منه خط المصحف لأن في المصحف ألفاً ثابتة في مصر، فيكون سبيل قراءته بالاجراء والتنوين سبيل من قرأ «قواريراً قواريراً من فضة» (الانسان/١٦) (١) وفي قوله «مثنى وثلاث ورباع» (النساء/٣) ترك اجراؤهن لانهن معدولات عن اثنين وثلاث واربع كما عدل عمر عن عامر وزفر عن زافر فترك اجراؤهن وكذلك : أحاد وثناء وموحد ومثنى ومثلث ومربع لايجري ذلك كله للعلة التي ذكرت من العدول عن وجوهه. (٢)

وفي «ويوم حنين» (التوبة/٢٥) يوم حنين أجرى لأنه مذكر وقد ترك اجراؤه ويراد به أن يجعل اسماً للبلدة التي هو بها ومنه قول الشاعر :
نصروا نبيهم وشدوا أزره
بعنين يوم تواكل الابطال (٣)

وفي «أنك بالواد المقدس طوى» (طه/١٢) من أراد أن يجعله اسماً للوادي، فانه انما ينونه لأنه اسم ذكر لا مؤنث وان لام الفعل منه ياء فزاده ذلك خفة فأجراه، كما قال تعالى «ويوم حنين» اذ كان «حنين» اسم واد والوادي مذكر (٤) وفي «جثثك من سبأ بنبا يقين» (النمل/٢٢) قرأء المدينة والكوفة بالاجراء المعنى أنه رجل اسمه سبأ وقرأه بعض أهل مكة والبصرة بترك الاجراء على أنه اسم قبيلة (٥) وفي «وأما ثمود فهديناهم» (فصلت/١٧) برفع «ثمود» وترك الأجراء على أنها اسم للامة التي تعرف بذلك . وأما الاعشى فإنه ذكر أنه كان لايجريه في هذا الموضع خاصة..... والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع وترك الاجراء. أما الرفع فلما وصفت. وأما ترك الاجراء فلانه اسم للامة (٦)

- | | | |
|-----|--------------|--------------|
| (١) | تفسير الطبري | ٣١٣/١ |
| (٢) | تفسير الطبري | ٢٣٧/٤ ١١٤/٢٢ |
| (٣) | تفسير الطبري | ٩٩/١٠ |
| (٤) | تفسير الطبري | ١٤٧/١٦ |
| (٥) | تفسير الطبري | ١٤٧/١٩ |
| (٦) | تفسير الطبري | ١٠٤/٢٤ |

١٤. الجحد:

وهو النفي كما يقوله البصريون (١) وهو من مصطلحات الفراء وثعلب (٢) وهو ما استعمله الطبري كما في « غير المغضوب » أن « غير » بمعنى الجحد، (٣) وفي « ولا الضالين » ولا يعطف بها إلا على جحد قد تقدمها (٤) وفي « بلى من كسب سيئة » (البقرة/٨١) بلى اقرار في كل كلام في اوله جحد كما أن نعم اقرار في الاستفهام الذي لا جحد فيه (٥) . وفي « ألم تعلم ان الله ملك السموات والارض » (البقرة/١٠٧) ألم تعلم معناه : اما علمت وهو حرف جحد أدخل عليه حرف استفهام (٦) وقال في قول الشاعر :

ما ان ندبت لشيء تكرهه

فأدخل على (ما) وهي حرف جحد ، «ان» وهي ايضاً حرف جحد ، لاختلاف اللفظ بهما (٧) .

وقال ايضاً في قول الشاعر :

كاليوم طالى أيتق جرب

ما أن رأيت ولا سمعت به

فجمع بين «ما» وبين «ان» وهما جحدان ، يجرىء أحدهما عن الآخر (٨) اضافة الى العبارات التي أكثر الكوفيون من استعمالها كتمولهم في المبتدأ والخبر أنهما ، ترافعا كتموله في « ألم ذلك الكتاب » « ذلك » مرفوع بـ « ألم » و « ألم » « به » (٩) وفي « ماذا ينفقون » (البقرة/٢١٥) يرفع « ما » بـ « ذا » و « ذا » بـ « ما » (١٠) وفي « والذي أنزل اليك من ربك الحق » (الرعد/١) « الذي » مرفوع بـ « الحق » و « الحق » به (١١) . وأخيراً هو مثلهم يسمى حروف الجر بحروف الخفض :

(١) دراسة الكوفة ص ٣٤٩

(٢) معاني القرآن ٤٨/١ ، ٣٤٥٢ / ١٣٧ ٢٠٧٤ مجالس ثعلب ١٠١/١

(٣) تفسير الطبري ٧٩/١ (٨) تفسير الطبري ٢١٦/٢٦

(٤) تفسير الطبري ٨١/١ (٩) تفسير الطبري ٩٨/١

(٥) تفسير الطبري ٣٨٤/١ (١٠) تفسير الطبري ٣٦٨/٢

(٦) تفسير الطبري ٤٨١/١ (١١) تفسير الطبري ٩٢/١٣

(٧) تفسير الطبري ١٢/٢٥

الخاتمة :

هذا هو مذهب الطبري في النحو ، درسناه من خلال كتابه «جامع البيان» لأنه لم يخلف كتاباً في النحو يعتمد عليه ، وقد ظهر لنا من خلاله أنه نحوي كوفي ، ولاشك في ذلك ، وأكد ثعلب شيخه هذا فقال :

«أنه من حذاق الكوفيين» سار على أسس مذهبهم واستعمل مصطلحاتهم وترجيحاتهم وتعليقاتهم ، وسار على طريقتهم في الأخذ بالقراءات من غير أن يضعف الأخرى منها ، واستنبط الأحكام على قياسهم . إلا أنه كان يقول : «قال بعض نحوي البصرة أو قال بعض نحوي الكوفة» ولكنه لم يسم واحداً منهما ويصعب على الدارس أن يعين المتصود من ذلك ، لكثرة الآراء التي نقلها والمناقشات ، وخاصة ما كان منها في مسائل الخلافات النحوية ، على قلة من ألّف فيها من معاصريه ، فجعلنا إشاراتنا تلك بمثابة لكل مذهب ينقل عنه ، لأننا بمقارنتنا ما نقله مع ما نقله غيره ثبت صحة ما ينقله عن المذهبين . ومما يجعل لهذا الكتاب قيمة كبيرة بين مصادر النحو الكوفي ، أنه تميز عن غيره منها وخاصة كتاب «معاني القرآن للفراء» أنه يأتي بالآية فيذكر ما فيها من أحكام نحوية ، فإذا ما اختلف المذهبان فيها ، ذكر ذلك الخلاف وذكر تعليل وحجة علماء كل مذهب فيها ، ويذكر أحياناً الخلافات اللغوية والأحكام الصرفية في كلماتها . ولكن لا يعني ذلك أنه لم يكن له رأى ليس عليه المذهبان فقد كان أحياناً يستقل في ترجيحاته وتأويلاته فيختار رأياً وسطاً كما قال في قوله تعالى «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة» (آل عمران / ١١٣) «وعرض رأى المذهبين فيها» : «وقد توهم جماعة من نحوي الكوفة والبصرة والمتقدمين منهم في صناعتهم» (١) مما يجعل لأرائه تلك أثرها في هذا العلم والكتاب قيمة كبرى بين مصادر النحو الكوفي .

(١) تفسير الطبري ٥١/٤ .

المصادر والمراجع

- امالي الزجاجي ط١ تحقيق عبد السلام هارون
 أنباه الرواة على أنباه النحاة للقنطري
 الانصاف في مسائل الخلاف - ابو البركات الانباري ط٤
 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
 جامع البيان في تأويل آي القرآن الطبري ط٢
 شرح الاشموني - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط١ مصر ١٣٧٥ / ١٩٥٥
 القطع والائتناف - لابي جعفر النحاس (بتحقيقنا) على الآلة الكاتبة / ١٩٧٦
 مجالس ثعلب ج١ ط٣
 مجالس ثعلب ج٢ ط٢
 مدرسة الكوفة ط٢
 د. مهدي المعزومي ١٣٧٧ / ١٩٥٨
 المقترض - المبرد تحقيق عبد الخالق عضيمة
 معاني القرآن - للفراء
 معجم الادباء - ياقوت الحموي
 ميزان الاعتدال - الذبيبي
 القاهرة / ١٣٨٢
 القاهرة ١٣٦٩ / ١٩٥٠
 القاهرة ١٣٨٠ / ١٩٦١
 القاهرة ١٣٧٣ / ١٩٥٤
 مصر ١٣٧٥ / ١٩٥٥
 مصر ١٩٧٦
 مصر ١٩٦٩
 مصر ١٩٦٠
 مصر ١٣٨٨
 من ١٩٥٥ - ١٩٥٨
 نسخة مصورة عن نسخة مصر ١٩٢٤
 مصر ١٩٦٣ / ١٣٨٢